التقابل بين جمالية التركيب وحجية العلاقة

الطالبة: زرواق عفاف **إشراف الأستاذ الدكتور: زروقي عبد القادر**

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر **جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر**

يهدف هذا المقال إلى الكشف عن الجانب الحجاجي في النص الأدبي، وذلك برصد أحد أهم الأشكال الحجاجية، ويتعلق الأمر هنا بالطباق والمقابلة، فالحجاج آلية لإقناع الآخر؛ وذلك باستمالة المتلقي والتأثير فيه بتوظيف أساليب بلاغية باعتبارها تقنيات وآليات حجاجية. ولذلك فإنه يمكننا أن نحدد أهداف هذا المقال في النقاط التالية: 1- معرفة إلى أي مدى تم التوسل بالحجاج للكشف عن أبعاد الخطاب القرآني. 2- دراسة البعد الحجاجي للبنى الأسلوبية كونها تشكل مجموع وظائف اللغة والتي وُظف لأجلها التقابل. 3- الكشف عن حجاجية التقابل في الخطاب القرآني من خلال سورة الليل.

الكلمات المفتاحية: الحجاج النص؛ الأدب؛ الوظائف ؛ اللغة؛ التقنية؛ البنى الأسلوبية؛ المتلقي؛ التأثير؛ الخطاب القرآني؛ التقابل.

The Contrast between the Aesthetic Structure and the Argumentative Relationship

Abstract: This article aims to reveal the argumentative aspect in the literary text through mentioning one of the most important argumentative forms, to wit: contradiction and anti-thesis. Argumentation is a mechanism for convincing the other and influencing him using rhetorical methods considered as argumentative techniques and mechanisms. Consequently, the objectives of this study are to: 1) know how much argumentation has been used to discover the dimensions of the Quranic discourse 2) study the argumentative dimension of stylistic structures as long as they constitute all the functions of the language and 3) discover the argumentation of the contrary and the antithesis in the Koranic discourse from the Quranic Surat Al-Layl "the night".

Keywords: Argumentative text, literature, functions, language, technique, stylistic structures, receiver, influence, Qur'anic discourse, contrast

تعددت وظائف التقابل بين التأثير والإقناع ولئن حظيت الوظيفة الأولى بدراسات وافرة في البلاغة والنقد، فإن الثانية أرى أنها بحاجة إلى مزيد من البحث والتحليل في ضوء ما استجد من الدرس الحجاجي بمختلف اتجاهاته وخصوصا أن التقابل شكل من أشكال

تاريخ تسليم البحث: 23 مارس 2017.

تاريخ قبول البحث: 12 جويلية 2017.

الانفصال في بنية الحجة مستعينين بالثنائيات الضدية تركيبا ودلالة في مقاربة حجاجية هذه السمة الأسلوبية.

أولا -البعد التركيبي: الطباق والمقابلة كتوازيات نصية منتجة للتأثير

تظهر حجاجية التقابل من خلال هذا البعد -البعد التركيبي ببيان الكيفية التي تُبنى بها المفاهيم، وطبيعة العلاقات التي تجمع بينها وأوجه توظيفها في الخطاب الحجاجي، والطريقة التي يمكن بها استعمال القول...في خطاب حجاجي، والتي تكون الغاية منها التأثير في أفكار شخص أو مجموعة من الأشخاص وآرائهم وأوضاعهم ومشاعرهم وسلوكياتهم[1] من خلال الإجراءات المتمثلة في:

1-اختيار الألفاظ (الطباق)

2-تنظيم العبارات داخل الخطاب وترتيبها (المقابلة)

3-إبراز الوحدات وترتيبها في الخطاب. [2]

وتؤول حجاجية التقابل في هذا البعد إلى المفارقة باعتبارها أحد الأسرار التي يستبطنها هذا الكون الرحب، فهي سارية في كل صغيرة وكبيرة؛ لان الوجود أبدا في" والوجود في مشاقة مع ذاته التناقض جوهره، والتغيير قانونه الذي يجري عليه في تحقّقه"[3]. ويكفي تمثيلا في هذه الظاهرة الملحوظة الليل والنهار، الخير والشر، الحياة والموت تقابلا يصب في المرمى المنوط بالكون ألا وهو مرمى الصيرورة والتغيير[4].

ولما كانت اللغة «أقوى مظاهر التحقق الوجودي، بل أنها عين الوجود (...)كان طبيعيا أن تحوي بين جنباتها دلالات التضاد ودوال التناقض». [5]

وبما أن التواصل باستعمال اللغة يكون في أغلبه نصوصاً تُبنى بأساليب وكيفيات معينة ولأغراض ووظائف متعددة ومن جملة الأساليب توظيف طاقات البديع للتأثير والإقناع، ومنها التقابل كاستراتيجية نصية تتضمن وظيفة حجاجية، انطلاقا من المقاربة السابقة حاولت أن أوضح التوازي الدقيق بين الوظيفة الجمالية للطباق والمقابلة كأبرز وجوه البديع والوظيفة الحجاجية المؤسسة ضمنيا على أحد المبادئ المنطقية والمقصود المبدأ الثالث المرفوع إما . أ . وإما لا . أ . في نسق بناء النص.

يتجلى هذا البعد الحجاجي للتقابل من خلال وظيفتين، الأولى تمييزية على حد مضمون مقولة " وبضدها تتمايز الأشياء "أي تحديد الهوية بالآخر السالب أو المضاد، لإشباع توقع وإحداث المفاجأة بين عناصر النص المتوافقة والمتخالفة على حد مفهوم **ريفاتير** للأسلوب، والثانية كآلية إقناعية من خلال ترافع العلاقات المنطقية المبنية على الاقتضاء؛ فإثبات القضية يقتضي نفي نقيضها في كل متعلقات القضية من جهة (الوجود، الفائدة، الصحة)،

وبناء على ما سبق تتأكد الوظيفة الحجاجية للمقابلة كآلية تتجاوز الوظيفة الجمالية التي قُصِرَت عليها عند النقاد والبلاغيين العرب والتي لم يتأتَّ لها إثارة البعد الحجاجي إلا مع تطور الدراسات الحجاجية لَمَّا أضاءت جوانبها المغيبة في الدرس البديعي بالإضافة إلى التكوين العميق في بنية لغة النص والذي دُرس أسلوبيا تحت مصطلح "التوازي "

البعد الدلالي: بعد حجاجي للتقابل كحامل للإقناع

أرى من خلال بحثي المتواضع أنّ البعد الدلالي من حيث صرامة الاستدلال الخطابي يتأسس على المبدأ المنطقي الثالث المرفوع والذي تناوله غرايز من خلال مفهوم "اللمع" حيث «يتمكن المتكلم من تلميع موضوعه بما يسميه **"غرايز"** اللمع وهذا اللمع يساهم في تغيير أحكام المخاطب وتقويماته للموضوعات التي يجري التواصل بصددها[6]. تحت تأثير جمالية أسلوب التقابل ومنطقية العلاقة في التوقع والإدراك من جهة والإيضاح والتثبيت من جهة ثانية. « فالذي يحاجج لا يكتفي بوصف أوضاع معينة فهو يشير في الوقت نفسه إلى معرفة بكاملها عند المستمع ستقوم بتلميع ما يريد بيانه سواء بصورة ايجابية أو سلبية وستحرك المشاعر وردود الأفعال عند المخاطبين »[7].

وترد هذه الآلية الحجاجية المنطقية في سياق ما سماه «غرايز» الخُطاطة التواصلية.

الإحالة المنطقية لحجية علاقة التقابل

الإحالة المرجعية لحجية العلاقة (علاقة التقابل) تؤول إلى المنطق الطبيعي للواقع ذلك أن منشأ «النظريات وبناء النماذج من التأمل في الظواهر والأمثلة وتعميق الأسئلة حول الأنساق الظاهرة والخفية التي تحكمها»[8].

فحجاجية التقابل كمون نصي يؤدي وظيفة حجاجية يضع معرفة المتلقي على أفقين معرفيين مختلفين أولهما النظام اللغوي والأسلوب المحقق لحجاجية النص مقابل الأنظمة والآليات التي يقوم عليها الحجاج، يقول محمد بازي «واختصارا فبالتقابل نفهم العالم المحيط بنا ونفهم ذواتنا وذوات الآخرين والقيم المتقابلة، ونستطيع أن نتفاهم بيننا وهذا مطلب إنساني وكون يحقق به الإنسان درجات رقيه المعرفي والتواصلي»[9]. وقد أشار الزركشي إلى «أن في تقابل المعاني بابا عظيما يحتاج إلى فضل تأمل»[10].

عرّف بازي التقابل بكونه " محاذاة المعاني بعضها ببعض، والتقريب بينها في الحيز الذهني والتأويلي لإحداث تجاوب ما، أو تفاعل معرفي وإضاءة بعضها للآخر. وهو خاصية تواصلية وإدراكية، فالأمور تُفهم وتُتمثَّل بشكل أفضل بعرضها على مقابلاتها، بل إن الحياة مبنية على أساس تقابلي: تخالفي أو تماثلي أو توافقي أو نقيضي"[11]، والتقابل "وضع لغوي يتركب من عناصر لغوية تقوم في الأصل على المواجهة فيما بينها، سواء مواجهة التقابلات أو التخالفات

أو التماثلات، وقد تكون العناصر اللغوية بسيطة كتقابل الضدين أو المتخالفين أو المتماثلين، وقد تكون مركبة كتقابل الجملة بالجملة أو مجموعة من الجمل بمجموعة أخرى من الجمل"[12].

والتضاد سمة الوجود، ومادام سمة الوجود فهو أساس التقابل في اللغة، وبما أن الدرس الحجاجي تطور من المنطق وقضاياه إلى اللغة واستعمالها، فإننا نحاول الجمع بين صرامة ومثالية المنطق الأرسطي وحيوية اجتماعية المنطق الجدلي عند هيغل في تأسيس مبدأ حجاجية التقابل سواءٌ اعتمدنا على المبدأ المنطقي الثالث المرفوع أو الطرح الجدلي للقضية ونقيضها ثمّ التركيب بالجمع بينهما.

ولإثبات الطرح السابق اخترت سورة من سور القرآن الكريم بنيت بناءً تقابليا هي "**سورة الليل**"، التي اتخذت من الطباق والمقابلة استراتيجية أساسية للإقناع، متعاضدة ومتناغمة تناغما دقيقا مع الوظيفة الجمالية والإبلاغية.

مقاربة ظاهرة التقابل أسلوبيا وحجاجيا في سورة الليل

سورة الليل:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى
(4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) إِنَّ
عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى (14) لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى
(15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ
مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)

المحسنات البديعية ضربان: معنوي يرجع إلى تحسين المعنى أولا وبالذات كالطباق والمقابلة وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا.

أ-الطباق

والطباق في اصطلاح رجال البديع هو "الجمع بين متضادين أو معنيين متقابلين والمطابقة في الكلام هي: الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة. [13]

-وكالجمع بين اسمين متضادين من مثل النهار والليل والبياض والسواد والحسن والقبح والشجاعة والجبن.

–وكالجمع بين فعلين متضادين مثل يظهر ويبطن، ويسعد ويشقى...

وكذلك كالجمع بين حرفين متضادين نحو قوله تعالى: " لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"[14] فالجمع بين حرفي الجر اللام وعلى مطابقة لان في الكلام معنى المنفعة وفي على معنى المضرة.

وقد تضمن أسلوب السورة هذه الأنواع الثلاثة في انسجام واتساق لبناء رؤية كونية ذات فعالية جمالية حجاجية تطور رؤية المتلقي وتغير في موقفه إذعانا لهذه المحاجة أو زيادة في درجة الاقتناع والتسليم للقضايا المعبر عنها بهذا الأسلوب.

الطباق في سورة الليل حسب نوع الكلمة	اسمين	فعلين	حرفين
	الليل / النهار الذكر / الأنثى العسرى /اليسرى الأتقى / الأَشْـقَى الآخرة / الأولى	يغشى / تجلى صدق / كذب يصلاها /سيجنبها	علينا / لنا

والمطابقة نوعان: مطابقة الإيجاب وهي ما صرح فيها بإظهار ضدين أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا مثل الآخرة والأولى.

ومطابقة السلب وهي ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجابا وسلبا نحو قوله تعالى "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِيْنَ لاَ يَعْلَمُون"، وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه لأنهما ضدان. [15]

والطباق المستعمل في هذه الصورة جميعه من النوع الأول أي طباق الإيجاب ولم يستعمل النوع الثاني.

و ما نراه من المطابقة في قوله: لا يصلاها هي قصر مؤول وليس نفيا وسلبا.

إن وَعْيَ التجربة الجمالية والإيقاع أحد مكوناتها أخذ في الدرس البلاغي القديم الوزن في الجنس الشعري أكثر من اهتمامه بالإيقاع في النثر الفني لذا لم يحظ هذا المكون الإيقاعي (والطباق والمقابلة أحد تجلياته النصية) بالاهتمام اللازم.

أما الدارسون المحدثون فتنبهوا لقيمته الجمالية وأحسوا "بما يحدثه الطباق من إيقاع فأدرجوه ضمن الإيقاع الداخلي"[16] واعتبروا أن "التقاء متقابلين ضدين متباعدين في الأصل متقاربين منسجمين دلاليا في التركيب يحدث هذا الإيقاع "[17]. كما ينتج هذا الإيقاع بالمقابلة والتوازي، والتكرار.

وعليه نطرح قضيتين في مستهل التعريف بالطباق:

القضية الأولى: تعاضد الطباق مع صور بديعية أخرى في بنية الخطاب.

القضية الثانية: علاقة الطباق بالإيقاع المعنوي (الداخلي في عالم الخطاب)

أما بالنسبة للقضية الأولى فجمالية الطباق لا تتأتى باستعمال المجرد للفظين متضادين أو متقابلين وإنما تكمل بمشاركة أنواع أخرى من البديع لإنتاج الدلالة من جهة والإيقاع من جهة أخرى. ومن أنواع المشاركة لها في السورة الجمع والتقسيم والاستطراد.

أما القضية الثانية في علاقة الطباق بالإيقاع المعنوي باعتبار الإيقاع القرآني الخارجي يتجلى في الفاصلة القرآنية وهي في هذه السورة الألف المقصورة، في حين أن الطباق يدرج في الإيقاع الداخلي على مستوى الدلالي كما صُنِّف عند علماء البلاغة القديمة.

فالتتابع المؤسس على مختلف العلاقات كالتضاد والتوافق خاصية تظهر في الزمن كما تظهر في اللغة والأسلوب.

فإيقاع الصورة المتجلي من خلال إيقاع الزمن بتعاقب الليل والنهار في تشكيل خط الزمن المتواصل وإيقاع التاريخ المتولد من تعاقب الأجيال وتوالدها واختلاف مساراتها ومساعيها المتباعدة الأبعاض والمنقسمة إلى ضلال وهدى وما يترتب عنها من اختلاف الجزاء فمنهم مثاب بالجنة ومنهم معاقب بالنار فالطباق محسن معنوي يقوم بوظيفة جمالية وحجاجية مهمة في الخطاب، فله" شعب خفية، وفيها مكامن تغْمُض، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا بالنظر الثاقب، والذهن اللطيف"[18] والطباق أمره أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر"[19] وهو يعطي الخطاب ايقاعا جماليا تستسيغه نفس المتلقي وتستحسنه مما يؤدي إلى الاقبال عليه. و هذا ما يراه حازم القرطاجني إذ يقول "إنّ للنفوس في تقارن المتماثلات وتشافعها، والمتشابهات والمتضادات وما جرى مجراها تحريكا وإيلاعا بالانفعال إلى مقتضى الكلام، لان أنّ تناظر الحسن في المستحسنين المتماثلين والمتشابهين أمكن من النفس موقعا...وما كان أملك للنفس وأمكن منها فهو أشد تحريكا لها. وكذلك أيضا مثول الحسن إزاء القبيح أو القبيح إزاء الحسن مما يزيد غبطة بالواحد وتخليا عن الآخر لتبين حال الضد بالمثول إزاء ضده. فلذلك كان موقع المعاني المتقابلات من النفس عجيبا"[20].

ويذكر ابن رشد في مسألة التضاد أنه"...إذ كان الضد يعرف من ضد. وإذا كانت هذه معروفة لنا من أضدادها، وكان الذم إنما يكون بأضداد تلك، فهو بيّن أنّ قد عرفنا من هذا القول ليس الاشياء الثي يكون بها المدح فقط، بل والأشياء الثي يكون بها الذم" [21]

وتعود حجاجيته إلى" كونه من الفنون التي تربط الكلام ببعضه عن طريق علاقة التضاد فالضد أقرب حضورا بالبال عند ذكر ضده"[22]، والكلمة تعرف من خلال ذكر ضدها

"فهو إذ يرد في الكلام فإنه يحدث فيه منطقتين متضادتين لكنهما متوازيتان من حيث الإيقاع إذ يستطيع المخاطبون إدراك الثانية من خلال سماعهم للأولى[23].

حيث يتوقع المتلقي التصديق مثلا من خلال ذكر التكذيب، ويتوقعون النهار من خلال ذكر الليل، والأنثى من خلال ذكر الذكر...

إنَّ الطباق فضلا عن كونه حجاجيا من خلال كشفه للضد فانَّه حجاجي كذلك بما "يحققه من إيضاح للمعنى وإظهاره وتأكيده وتقويته عن طريق المقارنة بين الضدين وتصور أحدهما بتصور الأخر"[24] فهو إذ يرد في الكلام فانَّه يعمل على تثبيت المعنى وترسيخه في عقول المخاطبين (...) وهذا التأكيد والتثبيت للضد من خلال ضده هو ما يحقق للطباق قوته الحجاجية ويزيد من فاعليته وقدرته على الإقناع"[25] فضلا عما ينتجه من التأثير الإيقاعي الميّسر لتوضيح وتأكيد القضية المطروحة وتغيير موقف المتلقي من خلال التأثير في إدراكه.

فإيراد مظاهر القدرة في سياق القسم واختلاف مسالك البشرة إزاءها بين مهتد وضال فتحا لأفق المتلقي من جهة وتوجيها حجاجيا له لاتخاذ الموقف المناسب.

وتعود حجاجية الطباق بصورة عامة إلى "ما ينتج عنه لدى المخاطب من علاقات، تتمثل في العمود الأول في التوقع والإدراك مقابل العمود الثاني في الإيضاح والتثبيت. "[26]

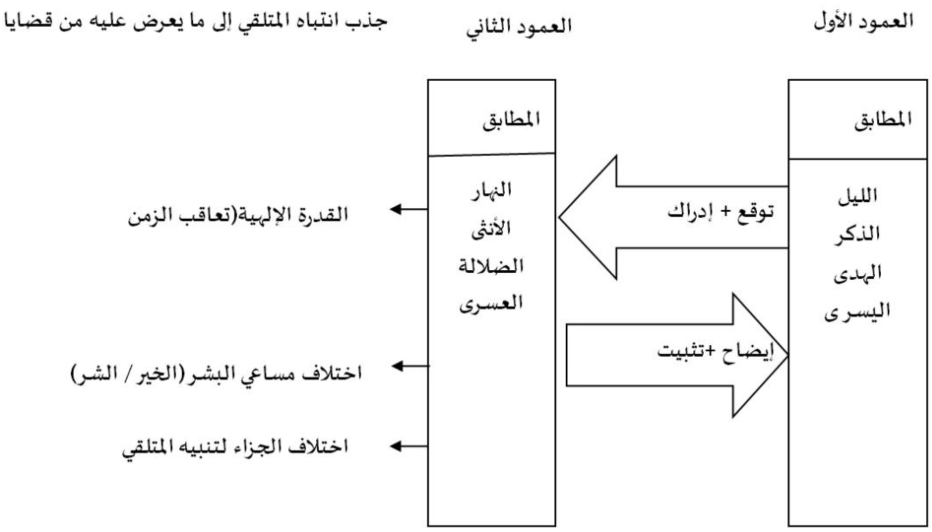

وخلاصة القول في حجاجية الطباق وجماليته كما يُبين المخطط السابق تنتج من خلال توقع وإدراك عناصر العمود الثاني (المطابق) من جهة وما ينتج عنه من إيضاح وتثبيت انطلاقا

من عناصر العمود الثاني(المطابَق) نحو الأول في جدلية حجاجية توجه المتلقي نحو الإذعان لنتائج هذا التأثير.

ب- المقابلة

وقد عرفها الخطيب القزويني في كتابه التلخيص بقوله "**هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثمّ بما يقابلها على الترتيب**".[27]

وهو يعني هنا بالتوافق خلاف التقابل.

وقد راعى البلاغيون والنقاد القدامى كقدامة بن جعفر والسكاكي البعد المنطقي في علاقة المقابلة واشترطوا لها معيارا عقليا وهو الصحّة ما يدل على وعي حجاجي لهذا الأسلوب فاعتبروا صحة المقابلات في توخي المتكلم في كلامه إذا اتى بأشياء او دوال لغوية في صدر كلامه اتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني. وهذا هو مذهب السكاكي فالمقابلة هي "**أن تجمع بين شيئين فأكثر ثم تقابل ذلك بالأضداد وإذا اشترطت في أحد الشيئين أو الأشياء شرطا شرطت فيما يقابله ضده**"[28].

انطلاقا من تعريف الحجاج عند طه عبد الرحمن من أنّه فعالية تداولية جدلية أُعتبر في مفهوم الحجاج جانب التأثير في المتلقي جماليا وحجاجيا كمقصد أصيل في بناء النص الحجاجي وجدليا من جهة ثانية بتحرره من ضيق الأطر المنطقية في بناء القضايا وأشكالها إلى رحابة الحجاج المنغرس في بنية اللغة الطبيعية ذاتها مع ما تحمل من بعد استدلالي إقناعي بوسائلها الخاصة ومن ذلك أسلوب البناء والنظم لبنية اللغة الأدبية ومن أشهر مفاهيمه مفهوم المفاجأة والإشباع عن طريق التقابل الناتج عن توالي الجمل المتوافقة مع الجمل المتخالفة ما ينتج عنه بنية التوازي التي تمنح الكلام بعدا جماليا حجاجيا تثير المتلقي وتستميله إلى الإذعان بما تحمل من خصائص إيقاعية ومنطقية.

ويتحقق هذا التوازي في الخطاب حسب جاكبسون R. **Jacobson** في مستوى تنظير وتركيب البُنَى التركيبية وفي مستوى تنظيم وترتيب الاشكال والمقولات النحوية وفي مستوى تنظيم وترتيب الترادفات المعجمية وتطابقات المعجم التامة وفي مستوى تنظيم وترتيب تأليفات الأصوات [29].

وإذا عدنا إلى خطاب سورة الليل نجد أنها تضمنت بعض أصناف التوازي وعلى رأسها المقابلة وتوازي البُنَى التركيبية.

إن وصف بنية النص اللغوية المكونة من مجموعة أبنية تركيبية متقابلة في السياق الكلي لإنتاج كون دلالي متقابل المكونات منتظم في وحدة يتجلى من خلالها انصهار قيمة الجمال

التأثيرية مع قيمة الحق الإقطاعية تلامس ذُرى الإبداع في أفاق الإعجاز هو ما نحاول تفصيله في هذه المقاربة من خلال بنية التوازي والتقابل في السورة.

فنقول بإجمال أن بناء السورة كقصر منيف من آيات العمارة النصية، حيث يحكم التناظر والتقابل جانبي صورته الكلية؛ فكل عناصره متقابلة ومتوازية في وحدة منتظمة، وفي إيقاع منظور واحد؛ حيث تنقسم السورة من حيث المستوى السطحي في بنية النص إلى جزأين متناظرين، يحكم كلا الجزئيين بالإضافة الى علاقات التضاد والتقابل وحدة الفاصلة. يتشكل كل جزء من ثلاثة تراكيب متقابلة تُذَيل باستطراد كما هو مبين في الشكل التالي:

الجزء الأول: ثلاث تراكيب متقابلة +استطراد وتكميل في التركيب الأخير

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى...فسنيسره للعسرى+ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَد والربط (لا يغني عنه المال الذي بخل واستغنى)

الجزء الثاني: ثلاث تراكيب متقابلة مع استطراد وتكميل في التركيب الأخير

إنا علينا للهدى...الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى+ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إلا ابْتِغَاءَ

الربط (بالاستثناء المنقطع إعطاء المال لله لا للمجازاة أو العوض)

-بنية المقابلة بين سيمترية الأجزاء ورحابة اللغة

1-حذف مفعول يغشى وتقديره (كل ما بين السماء والأرض بإفادة العموم ورعاية الفاصلة

وبيان مقتضى الحكمة في تعاقب الليل والنهار للراحة والسكون والسعي والمعاش مع الملاحظة أن الأداة إذا بمجرد الظرفية المجردة عن الشرط)

2-حذف مفعول أعطى واتقى (لإفادة العموم كذلك ورعاية الفاصلة فيشمل الإنفاق في وجوه البر وتقوى الله يتجاوز فيه المتلقي من مستوى الإذعان للمعنى الى تغيير الموقف لامتثال الأوامر واجتناب النواهي).

3-في المقابلة الثالثة في الجزء الأول حذف بالاكتفاء والتقدير إنا علينا للهدى والضلال؛ أي تبيين كل منهما، والهدى التبيين ومعموله محذوف والتقدير إنا علينا لَتبيين طريق الحق من طريق الباطل (لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد هداية العقل والرسل مع جمالية الحذف للاكتفاء في هذا التقابل مراعاة لآداب التخاطب.

إنّ ما ضاعف جمالية المقابلة في بُنية النص هو جمعها بين الوحدة والتقابل بين العناصر المتناقضة بناء للحجاج المؤسس على علاقات التضاد لإثبات وحدة القادر وعظمته.

لا شك أنّ بناء السورة على هذا التوازي والتقابل أعطت الخطاب هذا الشكل البديع المتناظر وحققت به ثلاث وظائف حجاجية.

-إدراك نظام الخطاب تمهيدا لاستمالة إذعان المتلقي: إن إشكالية دراسة الأسلوب في الخطاب القرآني طرحت على النقاد والبلغاء قضية الكلام الإلهي خصوصا عند المعتزلة والأشعرية أما حديثا فتمّ مقاربة هاته القضية من جهة انعقاد اختيارات فـ "القرآن أن ينعقد مدلوله في أحوال متلقيه لا بأحوال مرسله وهو لأنه كذلك فان التمثيل الوجداني الذي تضطلع أسلوبيته الفردية به لا يقوم هنا على مثال مرسله، ولكن على مثال متلقيه وبناء على هذا يمكننا أن نقول أنّ التحليل الأسلوبي لمضامين النص الوجدانية إنما هو صورة ترسم انفعال المتلقي للنص دون أنْ ترسم انفعال المرسَل"[30] وهذا الانفعال ببعديه الجمالي والحجاجي لذا فان انتظام مقاطع الخطاب وترتيب معانيه بأسلوب التوازي والتقابل يعكس تنظيما دقيقا لقضايا النص المراد الإقناع بها.

- إنّ مسالك النظام في بناء عالم السورة جمعت بين الضرورة والحرية، ضرورة النظام الطبيعي وغايته وحكمته وحرية الاختيار للإرادة الإنسانية وما يترتب عنها من جزاء حسب الاختيار.

إنّ هذا الأسلوب الجامع بين الوحدة والتنوع يحاصر أفق المتلقي بشساعته وعمق رؤيته من جهة وجمال تنسيقه وعرضه. فلا يملك المتلقي إزاءه إلا التسليم العميق برؤيته وقضاياه.

وباعتبار المدونة كلاما إلهيا يحيل على مرجع كلي وهو نظام العالم واتجاهات التاريخ وقيمه معبرا عنها بإيجاز وتواز لبنية النص حيث يتحد أسلوب خلق المرجع مع أسلوب كتابته والتعبير عنه.

–إدراك التلازم بين جمالية المبنى والشكل وجلال المعنى والقضايا:

لا شك أنّ المتلقي إذا تابع نظام الخطاب كما عرض سابقا أدرك أنّ هذا النظام لا ينفك تلازمه مع صحة القضايا المعبر عنها في سلم حجاجي ينطلق من مقدمات صحيحة راسخة تؤو به الى نتائج صحيحة منطقية ومقنعة خصوا عند الجمع بين القضايا المتضادة في سياق وحدة الحقيقة لإقناع المتلقي.

إنّ خطابا كخطاب السورة المؤسس على مجموعة من المطابقات والمقابلات في وحدة كلية لاشك ياسر المتلقي ويشده إلى عالمه ويستميله لقبول الدعاوي المعروضة عليه "فإدراك المخاطب لطبيعة البنية التطريزية الموظفة في الخطاب من شانه أن يجعله يدرك طبيعة تفكير المطرز، وإدراكه لطبيعة هذا التفكير يجعله يدرك قيمة القضايا المعروضة، وإذا أدرك قيمة هذه القضايا فان من شأن هذا أن يدفعه الى تصديقها والاقتناع بفحواها، فهي إذن سلسلة

من العمليات الحجاجية التي تبدأ مما تخلفه التوازيات التركيبية الموظفة من تنغيم وتطريز ولا تقف إلا عند حدود الإقناع"[31].

إن الدرس الحجاجي للتقابل وما يتضمن من علاقات منطقية قد أظهر انسجاما وتساوقا عجيبا بين جمالية التأثير ووظيفة الإقناع خصوصا في سورة الليل.

مراجع البحث وإحالاته:

1 - محمد بازي، نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، منشورات الاختلاف، ط1، 2013، ص: 94.

2- المرجع نفسه، ص: 94

3 - عاطف جودة نصر، البديع في تراثنا الشعري، مجلة فصول، المجلد 4، العدد2، 1983، ص: 85.

4 - سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري، من التحسين إلى التكوين، ط1، الاردن، عمان، دار كنوز المعرفة العلمية، 2014، ص: 187.

5- المرجع نفسه، ص: 187.

6- محمد بازي، نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، ص: 72.

7- المرجع نفسه، ص: 72.

8- المرجع نفسه، ص: 72.

9-المرجع نفسه، ص: 73.

10- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (د. ط)، (د. ت)، ج 2، ص: 346.

11 - محمد بازي، التأويلية العربية، نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص: 222.

12 - فايز عارف القرعان، التقابل والتماثل في القرآن، دراسة أسلوبية، جدارا للكتاب العالمي، عَمان، عالم الكتب الحديث، إربد، ط. 1، 2006، ص: 93.

13أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ص: 16.

14سورة البقرة، الآية 286.

15عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، 1

16- سعيد العوادي، حركية البديع في الخطاب الشعري، من التحسين إلى التكوين، ص: 214.

17- عبد الرحيم كنوان، من جماليات الايقاع في الشعر العربي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 2002، ص: 383.

18 -علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبي الفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1945، ص: 47-48.

19-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط1، مكتبة الخانجي، 1991، ص: 7-8.

20-حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1986، ص: 44-45.

21 -ابن رشد، تلخيص الخطابة، ص: 162-163.

22- الشحات محمد أبو ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، ط1، 1994، ص: 50.

23-الزماني كمال، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الامام علي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2016، ص: 177.

24- الشحات محمد أبو ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، ص: 51.

25 -الزماني الزماني كمال، حجاجية الاسلوب في الخطابة السياسية لدى الامام علي رضي الله عنه، ص: 178.

26-المرجع نفسه، ص: 179.

27- الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ، ص: 259.

28 - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، ص: 90.

29- رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص: 106.

30- منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1990، ص: 208.

31- الزماني كمال، حجاجية الاسلوب في الخطابة السياسية لدى الامام على، ص: 201.